شذرات مـــــن حـــياتــــــــي

Fragments de ma vie

أو

ثلاثون سنة من عمري

بقلم

محمد النـاصر النفزاوي

الاهداء :

الـى ابنـي إلياس النـاصر النفزاوي

A mon fils Ilyes Naceur Nefzaoui

" من لم يكن مفكرا تنسيبيا معاديا للإطلاق في كل شيء لا يدخل علينا "

" ما يبقى في الواد غير حجارو"

بيان " التياريين الاجتماعيين " في تونس وبلاد المغرب وصوتهم في الواب "المجتمع " .

أولا : قررنا في تونس التي نعتبرها ولادة فكريا أن نساهم بقلمنا في بناء نمط من التفكير جديد يواكب المرحلة الانتقالية التي نعيش ولا أحد يعرف كم ستدوم.
القائمون الأساسيون على هذا التيار هم أنا محمد الناصر النفزاوي " الشيخ " ومجموعة من الكهول الأقل سنا أمثال الأمجد البوعزيزي وحسين الذوادي وعبد الناصر الحنشي وكلهم أساتذة يقولون بفكرة "التقدم" اما قليلا أو كثيرا لأنه ليس المطلوب منهم باعتبارهم كتلة فكرية سياسية لا حزبا أن يتوحدوا فكريا سياسيا وأن ينضبطوا انضباطا تاما لشروط الانتماء :

الأمجد البوعزيزي على سبيل المثال تبدو مواقفه أكثر جذرية من البقية لأن حسين الذوادي أميل الى اطالة التأمل أما عبد الناصر الحنشي فهو أكثر تركيزا على المسائل النقابية وحقوق الانسان .

سبب اختياري الأعضاء هو مراعاة حقيقة الانتماء الجهوي في تونس لأن الأمجد البوعزيزي هو في الحقيقة صوت هذه الجهات المحرومة اقتصاديا مما قاد الى انتحار البوعزيزي أما حسين الذوادي وعبد الناصر الحنشي فهما بنزرتيان من أقصى الشمال التونسي البحري .

ثانيا : يستحيل الحديث عن تيار فكري سياسي جدي اذا لم نحدد "مقوماته" أي عموده الفقري بوضوح أي ما يميزه عن أعمدة فقرية أخرى وأفضل وسيلة للتوضيح هي اعتماد الأمثلة التي تنفذ الى أغلبية الناس فتتمكن من الحكم له أو عليه
ولذلك كتبت " شذرات من حياتي " Fragments de ma vie باعتبارها مثالا حيا على ملامح تفكير مؤسسي "التيارين المجتمعيين" لإيماننا أنه سيكون له تأثير في مختلف بلاد المغرب التي تحتاج كلها الى تيار مشابه ينقذ مثقفيها من الغرق في هذه السفسطائيات التي لا مستقبل جديا لها.

ثالثا : نحن لسنا فلاسفة وانما متفلسفون لأننا لا نخضع لنسق فلسفي محدد ويمكن اعتبار نشاطنا الفكري ردة فعل اجتماعية سياسية على المآزق التي قاد إليها الفلاسفة الذين نلومهم جميعا على عجزهم عن النفاذ الى حقيقة مجتمعات الفضاء المغربي .

رابعا : لكل تيار فكري سياسي يطمح الى الانتشار صوته الذي يعبر عنه.
صوتنا نحن هو في الانترنيت موقع " زينب النفزاوية " الذي تأسس سنة 2009 وما يزال مؤثرا في الأوساط المثقفة وهو

موقع شمال أفريقي يتخذ من محمد بن عبد الكريم الخطابي قدوة له وموقع فيسبوكي اسمه "المجتمع" وهو حديث النشأة ولكن نلاحظ تزايدا في الإقبال عليه .

تقديم " شذرات من حياتي "

1.تعودت منذ تكويني في مجال المكتبات في ستينات القرن العشرين وتخصصي في الفهرسة في المكتبة الوطنية التونسية على الا أكتب شيئا الا عن تخطيط صارم قدر الامكان. وأنا ما زلت رغم بلوغي الحادية والسبعين من العمر أسير على النهج نفسه اذ " العادة طبيعة ثانية " في الانسان .

هذه الشذرات من حياتي التي قد تهم عددا من القراء لا يجب أن يتجاوز عدد صفحاتها الخمسين لأن عامة الناس لم تعد تقرأ ترجمة ذاتية طويلة .

2 .أعتبر أن هذه الشذرات تختلف اختلافا حاسما عن كل ما قرأتم من سير ذاتية في فضائنا المغربي الذي يعد حاليا 100 مليون ساكن والذي لا أهتم بغيره اذ أن شاغلها الأول والأخير هو الصدق قدر الامكان ومحك هذا الصدق هو التطابق بين القول والممارسة سواء في ما يتصل بالحياة العامة او بالحياة الخاصة وأنا شخصيا لم أقرأ سيرة واحدة وفت بالشرطين .

3. ما دفعني الى كتابة هذه الشذرات هو أنني قصدت قطع الطريق أمام كل من "سيتطوع " للحديث عني وهو لا يعرفني حقا فلقد تحدث أحدهم عني فقال انني من بين من تسلموا احدى الجوائز الأدبية من ...قطر !

4 .عدد ممن لا يعرفونني يصفونني بأنني " ملحد" عوض أن

يصفوني بأنني على الأكثر "لا أدري" بمعني أنني سأبقى الى مماتي متسائلا عن مصير الانسان خارج الشرائع المعروفة التيأتهمها بالقصور في فهم محرك الكون الأول أي الله ذلك أنني في هذا الجمال آخذ بتفكير ابن رشد و...ارنست رينان : المحرك الأول هو صانع ساعة بديعة اكتفي بصنعها ثم كف يده عنها فعلى من يدعون تمثيله في الأرض أن يثبتوا قدرتهم علىتشغيلها حتى لا تتعطل. فإذا كان هذا هو الالحاد فأنا ، اذا ، ملحد!

5.ما ستقرؤون في الشذرات هو عملية تحطيم أصنام حقيقية لأنني تعرضت لأصنام في تونس تخرج عليها آلاف مؤلفة من الطلبة والجامعيين ممن يعدون أنفسهم ممثلين لما يسمى بالثقافة التونسية وأغلبهم من خريجي قسم العربية وأنا أعرف ردود فعلهم على ما كتبت فأنا من المؤمنين ببلاغة القولة الشمال أفريقية "ما يبقى في الواد كان حجاره" وأنا لست أكثر من حجر في الوادي سيجرفني التيار جسدا ولكنه لن يجرفني تفكيرا فكريا سياسيا وهذا هو معنى البقاء أو "الخلود" في فهمي.لكم كرهت كلمة "العبقرية" بسبب اشتقاقها الخرافي سواء عندنا أو في الفرنسية لأنه لا يوجد "عبقري" في كل بلاد الأرض ولكن يوجد موهوبون سمحت حضارة بلدانهم بان يجسدوا قدراتهم العقلية فأفادوا الانسانية .

6. لقد أكثرت في كتاباتي من ذكر "ما فيش قطوس يصطاد لربي" فأي "قط" أنا وما هو صيدي ؟ وأي غرض أخدم ؟
أنا عميل لشعوب بلاد المغرب بغض النظر عن تخلفها الحالي الفظيع لأنني أقول بفكرة "التقدم" والتقدم مسألة حضارية لا يمكن الحديث عنها انطلاقا من الظرف الراهن

ولكن انطلاقا من الزمن المتوسط والبعيد .

7.على من يود أن ينفذ الى تفكيري أن يفهم أنني استقرائي المنهج كثير الحذر من الاستنتاج المتسرع مما ولد في نزعة مقت كل انتاج فكري سياسي لا ينطلق من الواقع للتنظير.

8. أنا لم أتجاوزفي كل ما كتبت وضع مثقف تونسي رفض أن يكون " شاهد ما شاف حاجة " .

9. كتبت هذه الشذرات وأنا في الحادية والسبعين من العمر أي في هذه الفترة التي يرصن الإنسان فيها في كل بلاد الأرض لا بدافع شخصي ولكن لأن الطبيعة تفرض ذلك . وفترة الثلاثين من عمري التي غطيتها كانت فترة "الصخب والعنف" عند كل البشر من دون استثناء بما في ذلك الصخب الجنسي لذلك يحرص من يكتبون سيرهم الذاتية وخاصة النساء منهم ، وأنا أسطر كلمة النساء ، على تلافي الحديث عنها لأنها فترة "الرمال المتحركة" في حيواتهم وخاصة ما يتعلق بحيواتهم الجنسية لأنهم سيصبحون ساسة ومحامين وقضاة وجامعيين ...أما أنا فمقاييسي مختلفة ولذلك شذذت عنهم بالمعنى النبيل لكلمة الشذوذ . ولذلك ألتزم في هذه الشذرات بألا أكتب الا ما هو صادق ايمانا مني بضرورة تحقيق التعادلية بين القول والممارسة قدرالمستطاع لايماني بالصراحة الأخلاقية التي أعدها الأساس في كل بناء مجتمعي سليم .

10.نحن نعيش في تونس وكل بلاد المغرب فترة انتقالية

صعبة ولا أحد يعرف متى ستطول. في هذه الفترة يتكاثر السياسيون حتى أن عدد أحزابهم يفوق المئات والمطلوب الآن هو تغيير صفة " سياسي " ب "مفكر سياسي" لأن مثل هذا التغيير سيقلص عددهم بصورة لا تتصور لأنني طرحت السؤال التالي : هل أن الغنوشي والسبسي على سبيل المثال مفكران سياسيان أم مجرد سياسيين ؟ وهل يملكان الشجاعة على كتابة شذرات من حياتهما يتناولان فيها فترة ال 25 سنة من عمرهما بما كانت تتضمن من "صخب جنسي" مثلما أفعل أنا وقبلهما هل كان بورقيبة وزين العابدين بن علي مفكران سياسيان أم مجرد سياسيين ؟ .

هذه هي وسيلتي الوحيدة للتغيير فأنا لست إلا صاحب قلم أوظفه في ما أرى أنه خير للجميع .

تخطيط الشذرات لأنني مولع بالتخطيط والتصنيف حتى أنه كاد أن يصبح مرضا بالنسبة الي :

أتعرض في هذه الشذرات لحياتي أثناء فترة الطفولة الصعبة بشكل مطول نسبيا لأنتقل بعد ذلك الى معلمتي الأولى وهي المكتبة الوطنية التونسية التي حددت مساري الفكري السياسي لأن الجامعة التونسية لم تضف شيئا الى تكويني عند هذه "المعلمة ".

الشذرات اللاحقة تتناول الأربع سنوات في كلية الآداب التي كانت جحيما بالنسبة الي فلقد حصلت في الباكالوريا على عدد عال في الفرنسية أثر في توجيهي الجامعي لأنني وجهت الى شعبة الفرنسية مباشرة ولكن رغبتي في كتابة الرواية دفعتني إلى أن أطلب تغيير التوجه فراسلت في الموضوع محمد الطالبي الذي أشار على حمادي بن حليمة المكلف اذاك بالتسجيل بقبول مطلبي. ومن تلك الفترة عشت "جحيمي" في كلية الآداب لأنني عجزت تمام العجز عن متابعة ما يلقى فيها من دروس في اختصاص العربية لأنه موجه الى حاصلين على بكالوريا أدبية ذات مضامين أمقت أغلبها : هم في غالبيتهم إما ريفيون يعشقون الفن الشعبي وأرقاهم يعشق أم كلثوم أما أنا فميلي كان الى الأغنية الفرنسية غير المؤدلجة مثل Je ne regrette rien.

شذرات من طفولتي

لم تحتفظ ذاكرتي بالكثير مما يتعلق بطفولتي المبكرة فما أعرف عنها هو أنني ثالث طفل في عائلتي: أخي الأكبر عبد العزيز المولود سنة 1943 ثم أختي نزيهة المولودة سنة 1946 وأنا المولود سنة 1948 أما بقية اخوتي البشير (ولد 1954) والذي يحرص الى اليوم على زيارتي كل 15 يوما على الأكثر وأخي نور الدين ولد (1957) الذي قد تمر سنوات فلا يزورني لضعف الرابطة العائلية عنده خاصة أنه ربط أثناء إكمال دراسته في فرنسا علاقة بزميلة له تزوجها وأنجب منها طفلا ثم أصبحت قاضية علاقتها بالشماليين الأفريقيين تطرح أكثر من سؤال. فهو لا يزور تونس الا عندما تشغله مصالحه فيها لأنه صاحب ملك عقاري وفي هذه الحالة لا يتصل بغير أخته نزيهة التي كلفها ب "ادارة شؤونه" وبالبشير الذي يوافيني أحيانا بأخباره الشحيحة أصلا.

أخي الصغير نور الدين هذا تعلم السيطرة على نفسه بشكل جيد فلقد كان مثلنا جميعا في العائلة حاد الأعصاب ولكن واقعيته قادته الى اختيار سلك الأمنيين وسيلة للنجاح فتخرج منه محافظا وحدث له أن نشبت خصومة بينه وأحد اعيان بنزرت من الدستوريين استنجد بعدد منهم في العاصمة مظهرا بطاقة انخراطه في الحزب فكان رد أخي نورالدين أن اعتقله وحشاه في صندوق السيارة الخلفي مما سبب معاقبته. لم يختر الاستقالة من السلك ولكن اختار تعيينه في فرنسا وكان له ذلك. وأنا لم أتمكن الى اليوم من تحديد الوظيفة التي كلف بها

هناك. هو رجل كثير الدعابة في المسائل التافهة ولكنه لا ينطق بشيء في المسائل الأمنية والسياسية. وعندما اعتقلت ذات مرة ونسبت الي تهمة "السكر الواضح" بسبب وصفي محافظ شرطة بأنه "ابن أخته" زمن محمد مزالي الذي كان يقول للسلك "اضرب وصدري يحمي" وحكم علي بسجن تحول الى "تأجيل تنفيذ" اكتفى أخي نور الدين بتحريك معارفه من المحامين والقضاة. ولولاه لكان مصيري غير ما خططت له. فعلاقتي ، اذاك ، باخوتي تبدو في الظاهر جد ضعيفة بسبب ما يرون في من نفور واضح من الاهتمام بما يشغلهم من ربط العلاقات التي تخدمهم اما بشكل مباشر أو غير مباشر ، أقصد أنهم نفعيون على العموم شأنهم في ذلك شأن أغلب التونسيين بل أغلب الناس في كل بلاد الآرض .

المتضرر الأكبر في عائلتنا هو اختي نزيهة التي حرمها أبوها حتى من الالتحاق بالمدرسة الابتدائية لأنه كان يسميها "مدرسة بورقيبة " الذي يمقته مقتا لا مزيد عليه مثل أغلب الجنوبيين التونسيين آنذاك وكان اذا زار العاصمة تقتصر زيارته على مقر جمعية الشبان المسلمين .

أبي الصغير بن منصور بن عبد اللطيف الذي لا يعرف أحد سنة ولادته الحقيقية عاش أكثر من تسعين سنة وكان عفيف اللسان ومن حفظة القرآن وهو ينتمي الى سوق الأحد في قبلي المنقسمة الى جزءين جزء يخرج المؤدبين وجزء لا يولي الدين ما يوليه الجزء الأول من اهتمام. وعندما هاجر الى الكاف التونسية واشتغل مؤدبا في قرية فيها تسمى بهرة حاز بذلك سمعة قربته من أخوالي الجزائريين الذين كانوا واسطة في تزويجه من أمي فاطمة الغربي وكانت في سن 15 سنة

مما سبب موت ابنها الأول محمد وقرار أخي الأكبر عبد العزيز الذي رفض أن ينجب أكثر من ولد واحد في غياب ظروف لا تسمح بتنشئة طفل في ظروف مقبولة .

أخي الأكبر عبد العزيز تخرج من فرع من فروع "الزيتونة"وكان على عكس أبي تماما لا يقول بشيء مما يقول به أبي : كان حافظ قرآن مثله ومثلي أنا مما مكنه في ما بعد من الحصول على منصب معلم بفضل قدراته اللغوية ولكنه كان مقبلا على الحياة، صيادا حقيقيا للاناث على عكسي أنا تماما وكان لا يميز بين اللاجئات الجزائريات والتونسيات. وعندما كان أبي يكلفه بحراسة الخروف الذي يحرص خالي علي سائق الشاحنات على توفيره كل سنة للعائلة كان يكلفه في الآن نفسه بالتثبت من مدى حفظي القرآن ولكنه كان يشرد لأول رائحة أنثى قريبة من المكان فينسى الخروف والقرآن معا. وهذا السلوك كلفه غاليا في جسده: طلب مني والدي الذي لا يكف عن الافتخار بما قدم للاسلام أن أستعرض أمام جمع من "الجلابة" الذين يلومهم على جهلهم مدى حفظي القرآن فتعثرت بشكل فاضح أمامهم فما كان من أبي الا أن اتجه مباشرة أمام الجميع الى هراوة مشوكة انهار بها على أخي الأكبر فأدماه في مواضع كثيرة من جسده .

ورثت عن أبي سهولة الدمع ولكن ما يميزني عنه هو أنه كان عصي الدمع في كل ما يتعلق بحياة الانسان ها هنا في الأرض ولكنه كان يبكي بسهولة عند قراءة القرآن أما أنا فأبكي عند رؤية أو سماع ما هو مؤثر انسانيا .

أحببت أختي نزيهة لأنها كانت تدللني فتركبني ظهرها وأنا

صغير مدة طويلة من دون شكوى وتدور بي في ما يتسع له محيطنا وكانت تتهجى الحروف بصعوبة في البداية وتكتب الدال ذا الجناحين ولكنها تمكنت في النهاية من اتقان قراءة صحيفة الصباح التونسية التي يواظب أبي على قراءتها ثم يلقيها لنا بعد حذف صدى المحاكم فيها حماية لنا من كل أشكال الانحراف وخاصة الجنسي منه.

كان الجراد في هذه الفترات كثيرا ما يجتاح البلاد فيغطي وجه السماء ويحجب ضوء الشمس وكان كثير من الناس يتفننون في طبخه وتجفيفه وكنت مثل أغلب من هم في سني أقبل على التهامه بشراهة . ولقد حدث ذات يوم أن ذكرت هذاالواقع أمام طلبتي فرأيت أغلبهم يبدون علامة التقزز.
لم أذكر أمام هؤلاء الطلبة أن الحالة الاجتماعية لأغلب الناس في محيطي آنذاك كانت تدفع عددا منهم الى اصطياد القطط وسلخها وطبخها . وقد حدث أن هاجم عدد منهم ثكنة فرنسية لقربها من مخزن قمح فثقبوا عددا من جدرانها واستولوا على أكياس القمح .

سنة 1954 ولد أخي البشير الذي حافظ على سنّة زيارتي كل 15 يوما وأنا أخصص له أكثر من شذرة لأنها تخدم موضوعي .

أخي البشير أنا من أشرفت على تكوينه أنا الذي عانيت من سياسة أبي في معاداة "المدرسة البورقيبية" وتطبيقها علينا أخي عبد العزيز وأختي نزيهة وأنا وكان يمكن لأخي البشير أن يعرف المصير نفسه لولا تدخل أخينا الأكبر عبد العزيز الحاسم الذي فرض ترسيمي في مدرسة ابتدائية في بلدة مقرين

في سن متأخرة حصلت فيها بعد 3 سنوات على الابتدائية لتفوقي على كل التلاميذ بسبب نوع المعلمين تونسيين وفرنسيين وشدة صرامة الكثيرين منهم حتى أن أحد المعلمين وهو سيدي عبدالله الذي كان يكلفني باصلاح ما يكتب بقية التلاميذ عاقبني ذات يوم بضربات في الشتاء على أصابعي فنزفت دما لمخالفة بسيطة. وأنا ما زلت الى اليوم أذكره بخير هو وأغلب زملائه نساءا ورجالا لأنهم كانوا يحبون تلاميذهم من دون تمييز. كان يوجد منا من لا يلبس غير صندال متهرئ مثلي ومن كان أبوه يملك فيلا بناها الفرنسيون مضافة الى حديقة واسعة كثيفة الأشجار كان التلاميذ الفقراء منا يهاجمون حديقتها للحصول على وجبتهم من التوت خاصة ولقد صادفت وأنا مدرس في كلية الآداب 9 أفريل امرأة كانت تلميذة مثلي في ذاك الزمن. هي لم تعرفني ولكنني تذكرت وجهها المشرق فبقيت طيلةاليوم أشعربسعادة يصعب تصورها .

معلمو تلك الفترة وسواء أكانوا من الفرنسيين أو التونسيين هم من خريجي المدرسة العلوية التي أنشأتها فرنسا سنوات قليلة بعد احتلال البلاد لتخريج معلمين شبيهين بمعلمي فرنسا أي قادرين على تكوين تلميذ جيد حائز على قدر من المعلومات في أكثر من مجال.
ومن تخرج منهم في تونس نال إعجاب كل التونسيين من دون استثناء واسألوا من بقي منهم حيا فسيؤكد ما أقول. وأنا ما زلت الى اليوم أتذكر صورة معلمتي السيدة بوفايد التي كانت تسكن مقرين : كانت في تقديري تبلغ الأربعين وفي درس الأشياء وحديثها عن جسم الانسان عرت جزءا من جسمها للتوضيح فأصبت بالدهشة نظرا الى تكويني الديني .

سأتوسع أكثر مما فعلت الآن في حديثي عن مدرسة ترشيح المعلمين التي تخرج منها مساعد التعليم العالي المنجي الشملي الذي يمكن أن يعاقب أيا كان يذكر تكوينه الأول لأن حالته الاجتماعية لم تمكنه من الالتحاق بالمعهد الصادقي فالتجأ الى مدرسة ترشيح المعلمين ومنها حصل في نهاية الأمر على البكالوريا والتحق بفرنسا التي حصل فيها على التبريز ولم ينتج بعد ذلك شيئا يعتد به إذ تتالت ترقياته بالشكل الذي نعرفه في تونس .

لم أقض في المدرسة الابتدائية الا ثلاث سنوات انتقلت بعدها بسبب تقدم عمري الى المدرسة الاعدادية في أريانة التي قضيت فيها 3 سنوات كنت فيها كالعادة متفوقا في كل ما هو أدبي سواء في العربية أو الفرنسية بل الانكليزية التي "أحببت" مدرستها الأمريكية الى حد أنني كنت أخاصم التلاميذ الذين "يشوشون عليها" جهلا مني ب"العقلية" الآمريكية التي ترفض أية وصاية. ولقد عاقبتني هذه الآنسة ولكن بشكل يختلف عن عقاب سيدي عبد الله الدامي. هي لم تعمد الى التنقيص من اعدادي ولكنها اجتهدت في تجاهلي تجاهلا تاما لا رجعة فيه. وأنا لم أقض في هذه الاعدادية أكثر من 3 سنوات أيضا شاركت بعدها في مناظرة انتداب أعوان المكتبة الوطنية التونسية ونجحت فيها بتفوق فعينت بعد سنة من التكوين مفهرسا للكتب فيها في مختلف اللغات فكان تأثير هذا التعيين في حاسما لأنني في حقيقة الأمر "فأر مكتبة" حقيقي : لقد أصبحت منذ هذه الفترة أصنف كل الكتب التي تعرض أمامي بصرامة ولا أطالع منها في ما يخصني الا على ما يشغلني أساسا فقرأت منها عددا يصعب حصره

وباستيعاب ما زلت الى اليوم أعجب منه : تصوروا على سبيل المثال أنني قرأت آنذاك رواية لويس فرديناند سيلين Voyage au bout de la nuit في مئات الصفحات وباعجاب لا يقدر !

الآنسة لوفيفر التي أحببتها من دون أن اربط بها علاقة جنسية لأنها رفضت ذلك بعد أن تعمقت في وتكويني الأول قالت لي بصراحة إنني أخشى عليك من علاقة بي لأنك "متصوف" لا يمكن أن يقبل بسهولة قطع صلة بمن أحب وأنا امرأة لا يربطني بالناس الذين أعاشرهم غير فترة لا تتجاوز الساعة !

استعملت الآنسة لوفيفر كلمة "متصوف" بالمعنى الذي درج عليه الفرنسيون من دون تفطن أن كثيرا من "المتصوفين" كانوا صيادي نساء يستغلون ضعفهم النفسي وجهلهم الفكري ولكنني تجاهلت هذا الأمر في ما يخصني فلقد كنت مكتفيا جنسيا لأن واحدا من رفاقي في مدرسة المكتبة كان يساكنني في حي قديم وكان لا يمر يوم حتى تتقاطر علينا نساء تتخذن من العلاقات الجنسية مصدر رزق والبعض منهن كان يعيل عائلة وأنا لم أرفض يوما المشاركة في هذه الممارسة لأنني مثل كل الناس لم أكن أرغب في قمع رغباتي الجنسية .
الآنسة المكتبية كانت تتغافل عما أفهرس في اليوم مما مكنني من قراءة عدد كبير من الكتب .
هي لم تكن على تكوين جيد في غير اختصاصها ولكنها كانت طيلة ساعات عملها شبيهة بهذا 'الثور" الذي لا يتوقف عن النشاط طيلة اليوم حتى أنني لم أرها تقتطع ولو ساعة للأكل فهي تقضي اليوم بين الكتب لفهرستها وإزالة ما فقد منها في القوائم.

كنت أرافقها في سيارتها البسيطة فنتجول في مختلف جهات تونس الشمالية وكانت تحرص على تذكيري بضرورة حمل بطاقة التعريف رغم أنني متأكد أن الشرطة لن تطلب منا شيئا بسبب رقم السيارة الفرنسية .

يبدو أن الساكنات المجاورات لشقة الآنسة لوفيفر كن يراقبن من يدخل بيتها لا أنا فقط لكن كذلك تونسيين من طالبي اللذة خارج الزواج فاتصلن بمحمد الرزقي محافظ المكتبة الوطنية يشتكين من سلوكها فما كان منه إلا أن طلب من وزارة الثقافة إلغاء عقدها فعوضتها امرأة ذات جمال بارد متزوجة من "كريولي" فرنسي أسمر اللون فكانا يقضيان أوقات العمل في نوع من الغزل الصبياني .
كان ذلك سنة1969 .

عندما حصلت على الباكالوريا في هذه السنة كانت الآنسة لوفيفر من المبكرين الذين التحقوا بالليسي كارنو لمعرفة النتائج وتهنئتي.

هذا هوسبب اعترافي بالجميل لفرنسيين :

- الآنسة لوفيفر التي تعلمت منها الفهرسة بالفرنسية .
- الأستاذ الفرنسي الشاب الذي امتحنني ودارت المناقشة بيننا حول موقفي من جان بول سارتر ومالرو في كتابه "المنزلة الانسانية" وانتهت بإسناد العدد 15 من عشرين مما مكنني من ردم الهوة بين ما حصلت عليه في الرياضيات وفي اللغة الفرنسية .

الأستاذ التونسي الذي اختبرني في اللغة العربية وكان يدرس الدارجة التونسية منحني أنا حافظ القرآن ومرتله والذي بدأت امكاناتي اللغوية تظهر منذ فترة مبكرة...9 من عشرين معاداة منه للمترشحين الأحرار.

هذا هو سبب اعتباري أن المكتبة الوطنية التونسية هي مرضعتي بعد أمي فأنا أدين لها بكل شيء تقريبا ولذلك سأخصص لها شذرة من شذرات حياتي رغم أنها كانت السبب الأصلي غير المباشر في معاناتي طيلة 4 سنوات في قسم العربية لأن تكويني الذي وصفت كان تكوينا لا تربطه أي رابطة بما كان يدرس في قسم العربية الذي لم أنجح في الأربع سنوات التي قضيتها فيه ولو مرة واحدة في الدورة الرئيسية .
كنت لا أحضر أي درس يلقى فأسقط في الدورة الأولى مما يجبرني على نسخ ما كتبه الطلبة فأنجح في دورة سبتمبر وهكذا دواليك طيلة الأربع سنوات .

أختم بهذا هذه الشذرة وأعود الى حديثي عن العائلة النفزاوية.
انتهى مسار أخي الأكبر عبد العزيز في الشذرة التي تعنينا بتعيينه مدير مدرسة ابتدائية في "دشرة نبر" في ولاية الكاف وفيها أنجب طفله الوحيدنزاربسبب كرهه الإنجاب في وضع لا يسمح بذلك.

أخي عبد العزيز هذا ذو قلب كبير لم يصل أي واحد منا في العائلة الى الاقتراب منه ولو قليلا . تزوج ابنة خاله زكية بنت خالي علي وكان أخوها الهادي الذي ولد في السنة التي ولدت فيها واحدا من حراس الحبيب بورقيبة لضخامة جسمه ونظافته الأخلاقية النادرة في هذا الوسط عموما . وكان عندما تقع مشادة بينهما لا يشتمها مثلنا جميعا في العائلة باستعمال الكلمات البذيئة التي لا شك تعرفونها . كان يسألها في "خبث" : " هل تعرفين كم من مرة بال بورقيبة على رأس أخيك الهادي ؟ " ذلك أن بورقيبة عاش فترة طويلة

منها هذه الفترة التي لا يعود عدد من الناس فيها قادرا على التحكم في افرازاتهم.

عبد العزيز أخي الأكبر وهب العائلة حياته في أهم جزء منها لذلك عندما مات أبوه وماتت أمه بعد شهور من ذلك في بداية التسعينات أصدر " تعليماته" التي طبقها حرفيا على كل أفراد العائلة بعد أن انشغل كل واحد منهم بحياته الخاصة "من يحبني منكم أطلب منه ألا يزورني".

كانت أمي في نهاية دورتها الحياتية تعاني من مرض السكر وقد نصحها الأطباء ببتررجل من رجليها فاستدعانا كبيرهم جميعا لاتخاذ قرار وسألناها فكانت اجابتها قاطعة لا لبس لا لبس فيها :
" نحب نقابل ربي كاملة ! "

أخي عبد العزيز الذي قلت عنه انه كان في شبابه "صياد فتيات" أصبح يعيش تقريبا على الحليب وحده حتى يوفر طلبات العائلة المعوزة خاصة أنه لا يتحمل القهوة أو التدخين أو أي نوع من المسكرات ولقد سكرت معه مرة واحدة ختمها بقيء متواصل في شارع محمد الخامس ولقد حدث له أن جرب الخمرة قبل ذلك على سردوك (السردوك في اللهجة المغاربية هو الديك) قوي اشتراه للغرض .

فتح ما بين منقاريه وسقاه في النهار لا في الليل قطرات من الخمر فاستحال على السردوك تبين التوقيت الطبيعي وبدأ يعلن عن "مواقيت" غير طبيعية.

شبهني بهذا السردوك عندما شرعت في نشر مقالاتي الفكرية السياسية ولكن هذا التشبيه غير موفق في نظري وليس المطلوب من أخي عبد العزيز وكثيرين ممن يشبهونه أن ينفذ وهو الزيتوني تكوينا الى الحقيقة التي لم أكتشفها الا بعد زمن طويل ذلك أن الأمر يتعلق بنشاط جزء من الدماغ المتحكم في حاسة مختلفة عن الحواس الخمس التي نعرفها جميعا .

هذه الحاسة هي حاسة الوجهة التي يطلق عليها الأنكليز عبارة wayfinding وهي في حالة دماغي ضعيفة الى حد بعيد .
كل أخوتي من دون استثناء حالة أدمغتهم تمكنهم من التوجه الى حيث شاؤوا سواء أكانوا راجلين أو سائقين أما أنا فدماغي عاجز كل العجز عن ذلك فأنا أضيع حتى في أنهج مدينة متوسطة الحجم حتى لا أتحدث عن سيري بين أنهج أي منطقة من مناطق بلادي.
هذا هو سبب كرهي السفر في حين أن عددا من اخوتي أمثال أخي البشير وأخي نور الدين وابني الياس الناصر لم يكتفوا بالسفر الى أوربا بما فيها روسيا بل تجاوزوها الى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية والصين

مسألة حاسة الوجهة تعمقت في دراستها لانعكاسها على كل ما كتبت وحتى قولي بالفكرة المغربية أفسره بحاسة الوجهة ذلك أن بوصلة دماغي مبرمجة بالشكل الذي وصفت وحتى عندما ألفت "المتشابهون" كنت خاضعا لا شعوريا لهذه الحاسة "الاضافية" اذ ما هو معنى "المتشابون" ؟ انه رفض للتوبوغرافيا على المستوى الذهني المعقد ومنه المستوى

الجنسي الأكثر تعقيدا فأنا عددت علاقاتي الجنسية قبل زواجي ولكنني لم أتوقف عند واحدة منها خضوعا لحكم هذه الحاسة التي وصفت والتي هي أقوى من الأخلاق والدين لأنها طبيعية : تركيب دماغي الذي تعمقت في دراسة نشاطه جعل مني انسانا شبقيا الى أقصى حد ولكن هذه الشبقية المفرطة ينعدم تأثيرها في تماما عندما ينشط دماغي في المجال الدراسي والتدريس ولهذا السبب لم يعرف عني أنني تغيبت يوما عندما كنت مدرسا في الثانوي أو العالي مهما كان السبب حتى المرض ولكن يوم السبت كان يوم تسيب هذه الحاسة" فيتعطل في حالتي أي نشاط غيرها مهما كان نوعه.

جهل هذه الحقيقة دفع عدد الناس الى الحديث عن "انضباطي" في كل شيء والسبب في ذلك هو أنهم يصدرون في أحكامهم عن الحواس الخمس المتوفرة عند أغلبهم من دون استثناء وليس حتى عند القليل منهم ولو شعور ابتدائي بتأثيرها رغم أنهم يرددون القولة الشهيرة الصحيحة " الحاجة هي أم الاختراع" وكيف يمكن للمرء أن "يخترع" شيئا في هذا السياق وهو يجهل وجود هذه "الحاجة" التي لا تتوفر الا في حالات جد نادرة في كل بلاد الأرض.

هذا الجهل لا يقتصر على ما تحدثت عنه ولكنه يمتد حتي الى المسألة الجنسية التي لا تتمكن الا القلة القليلة حتى من الاطباء المختصين في ما يسمى عندهم بأطباء الأعصاب من الاحاطة بها لأن الأمر يتعلق بنشاط لا عرق ولا شريان وانما بما هو أدق من شعرة الرأس الواحدة وهي مع ذلك تتحكم في كل ما يتصل باللذة سواء عند المرأة أو الرجل . ويمكن أن تقطع كل الأجزاء التناسلية عندهما ولكنك ولكن لن

تتمكن من ازالة الشعور باللذة ما لم تقطع هذا ال filament الذي لم أعثر على تعريب صالح له .فهذا المعجم يتحدث عن حبل وذاك عن سلك دقيق وآخر عن شعيرة والذي يمكن تقريبه من الأذهان بتصور المصابيح القديمة التي كنا نستعملها والتي تنطفئ بمجرد احتراق هذا الحامل الكهربائي المثير ولقد حاول كبار الجراحين أن يتبينوه في هذه الكتلة اللحمية الشحمية العصبية داخل الجهازالتناسلي الداخلي لا الظاهرمنه فلم يصلوا الى نتيجة.

دقة هذا الحامل للشعور باللذة هي التي نسبت تأثير ختن البنات على سبيل المثال حتى عندما تتعرضن لبتر جزء من البظر لأنها أبقت على شعورهن باللذة وان في حدود معينة. العثمانيون الذين حكمونا فترة من الزمن فهموا بالتجربة ما أقصد : هم اذا احتاجوا الى رجال ينظمون حياة النساء في البلاط لا يجتثون كل الكتلة اللحمية الشحمية العصبية لأن ذلك يقود حتما الى قطع هذا الحامل المثير للذة وهم في حاجة اليه في علاقاتهم المثلية على سبيل المثال وبذلك اختاروا حلا وسطا أي غير جذري .

في حالة قتل المصلح مدحت باشا سلكوا المسلك المضاد اذ اقتلع الجلاد كل الكتلة اللحمية الشحمية العصبية بما فيها الحامل المثير للذة فبرد في مكانه .

في بلادنا اليوم تطرح مسألة المثلية ويتخذ الناس منها الموقف والموقف المضاد ولا أحد منهم سمع بهذا "الحامل المثير للذة" في حين أنه المتحكم في كل ما يتعلق بنشاط الانسان الجنسي هم يتناقشون حول ما يرون و" الحامل المثير للذة " لا يرى .

كثير ممن يحقدون على ما أكتب حول الشعر عندنا في جهل تام للسبب :
محمد الغزي على سبيل المثال صديق تخرجنا في السنة نفسها وهو رجل محب للحياة وكنت عندما نلتقي أذكره دائما وفي نوع من الهزل الذي يعرف أنه لا يسيء اليه في شيء بقصيدة عصفور يسقسق فوق التل.
هو شاعر مجيد ما من شك في ذلك ولكنني لا أتذوق مثل هذا الشعر لأنني كنت في طفولتي أهرب من المدينة الى الخلاء لاصطياد العصافير وحتى الكبيرة منها باتقان كبير لذلك أنا لا أفهم قصيدة مثل هذه لأن هذا الشاعر يصدر في ما يكتب عن حالة دماغ ينشط ضمن الحواس الخمس أما دماغي فهو أكثر ارتباطا بهذه الحاسة التي لا تمكنني من تبين الطريق بوضوح مهما استعملت من معالم الطريق .

شذرة من حياتي في المكتبة الوطنية التونسية :

قلت انني أعد المكتبة الوطنية مرضعتي الثانية بعد أمي لذلك علي أن أتحدث عن الأساتذة الذين كونوني فيها في ميادين الصحافة والأدبين العربي والفرنسي والفهرسة بالعربية والفرنسية خاصة أن تكويني في ميدان الفهرسة أثر حتى في أطروحة الدولة التي كتبتها لا حقا والتي لم تعد في ترتيب فصولها ما تعلمته في دروسي في هذا المجال فأنا اكتفيت بتطبيق ما علمت طيلة السنوات الثلاث التي قضيتها في المكتبة الوطنية .

المكتبة الوطنية التونسية هي انجاز من انجازات مثقف تونسي تدين له هذه البلاد بالكثير الكثير وهو عثمان الكعاك الذي لم أعرفه معرفتي بمن خلفه محافظا للمكتبة الوطنية بين 1965 و 1971 وهو محمد الرزقي المبرز في العربية. وأنا لن أتحدث عنه وعن غيره الا من خلال ما احتفظ دماغي بانطباعات عنه لا علاقة لها بالكتابات الصحفية التي لا أقرؤها البتة لأنها في الغالب مزيفة تماما أو خاضعة لفكرة "اذكروا أمواتكم بخير" وهي فكرة ضارة بل شديدة الضرر لأن الأموات كان عدد منهم خيرا على البشر وكان آخرون مجرمين فكرا وممارسة وكل من أكتب عنهم ألتزم بأمر واحد هو أن لا أظلم أحدا منهم بدافع التشفي في الناس حتى بعد موتهم ولقد سبق أن تحدثت عن انطباعات لا عن حقائق لأنني أجهل ما تكن الصدور.

عرفت أستاذي محمد الرزقي محافظ المكتبة الوطنية أستاذا

درسني العربية أنا حافظ القرآن منذ سن السابعة بل أجيد ترتيله بالنطق الصحيح والتمييز بين حتى بين من يرتلونه فلم أر واحدا منهم لا يميز بين ال à و الè . ولقد خاصمني مساعد في العربية سأتحدث عنه لاحقا درسني في السنة الأولى الجامعية كان لا يميز بينهما مما كان يدفعني الى الابتسام كلما سمعته يذكر كلمة "ناقد" على سبيل المثال بشكل لا يقبله أي مستشرق مبتدئ فكان ذلك أصل خصومة بيننا.
هددني بأن يسند الي صفرا في الامتحان فغادرت القاعة وكتبت على الفور رسالة الى العميد الطالبي قلت فيها ان هذا " المخلوق " لا يستأهل التدريس في الجامعة ولم أحضر في ما بعد أي درس من دروسه طيلة دراستيالجامعية.

محمد الرزقي لا علاقة له بهذا الرهط من الأساتذة لأنه كان صلب التكوين في اللغتين العربية والفرنسية وقد اقتصرت دروسه على تعليمنا كل ما يتعلق بالاشتقاق من خلال استعمال الأشكال الهندسية انطلاقا من المثلث اذ كل ما عداه يرجع الى الأصل الثلاثي وقد كان يكثر من الأمثلة المفيدة للطلبة ولكنها لم تفدني شخصيا في شيء لما ذكرت من تكويني القرآني الأصلي.

صادفت في باب البحر استاذي القديم محمد الرزقي سنة 1969 ان لم تخني الذاكرة فسألني عن وضعي فقلت له انني طالب في كلية الآداب ثم رأيته آخر مرة في كلية منوبة عندما التحقت بالجامعة ولقد بقي مثلما كان سابقا مختصا في الترجمة.

محمد الرزقي "أرستقراطي" السلوك مهذب الى أقصى حد

قليل الكلام لم أره في مدخل المكتبة الا قليلا ولذلك بقي على جهل تام بكل ما يحدث فيها أما أنا فيمكن اعتباري مرجعا في هذا الأمر وان كنت حريصا على الا أتعرض لغير ما يفيد موضوعي خاصة أنني أمقت من يقيم علاقة حميمية ثم ينشرها حتى عند المقربين منه لأسباب أعتبرها مرضية وضارة إذ لا حق لأي كان في أن يمس بالمسائل الحميمية عند كل واحد منا .

أستاذ ثان تلقيت عنه دروسا في الخط وهو يشبه محمد الرزقي في سلوكه"الآرستقراطي" وان كان ظاهر الافتعال هو ابراهيم شبوح الذي كان لا يقترب من التلاميذ بل يكفي أي سلوك يراه مخلا بنظرته الى الأخلاق مثلما كان يراها لنبذه نهائيا وأنا لن أطيل الحديث عنه لأن تفكيري بعيد عن تفكيره بعد السماء عن الآرض.

أما أستاذي في الصحافة فهو التوزري الأصل محمد الصالح المهيدي (1902-1969) وهو رجل كان له نشاط كبير في الحركة التجديدية في تونس وهو رجل رصين ولكنه كان في داخله شعلة وطنية ملتهبة .

محمد الفاني والد سيدة أثارت ضجة في تونس لأسباب لا تهمني كان مختصا في فهرسة الكتب غير العربية وكان رجلا جديا منضبطا الى أقصى حد حتى أنني لم أره الا في أوقات جد محدودة وهو لم يرتبط بأي علاقة بالتلاميذ على عكس أستاذي المفهرس ماجول المتخرج من مصر والذي كان يميل الي ميلا شديدا ويصر حتى على دعوتي زيارته في بيته عندما يحل الصيف الذي لا يتحمله والذي يجبره على

البقاء فيه لا يغادره الى العاصمة وهو في هذا الأمر يشبهني شبها تاما من دون أن أعرف السبب.
آنسة فرنسية هي الآنسة لوفيفر التي أفادتني في مجال الفهرسة لا بالتتلمذ ولكن بسلوكها المنضبط الى حد يدعو الى العجب ولقد سبق أن تحدثت عنها وقلت انني أحببتها من دون نتيجة وأنا أعود الى ذكرها لأنني وصفتها في روايتي "المتشابهون" وان بتصرف أدبي يمزج بين الحقيقة والخيال .

هل أن شفروت هو أنا والآنسة لوفيفر هي سارة ؟
لست أدري في الحقيقة ولكنني أقول انني أدعو لها بالرحمة لاعتقادي أنه يصعب أن تكون اليوم على قيد الحياة .

شذرة حياتي في كلية 9 أفريل

لم يفعل حمادي بن حليمة عند اعادة توجيهي غير الاستجابة لرغبتي.

هذا الأستاذ لن أتحدث عنه الا في مسألة مخاصمة واحد من المساعدين هو محمد رشاد الحمزاوي لأن حمادي بن حليمة قرف منذ وقت مبكر من القسم فكان يختار دائما أن يدرس العربية لطلبة من غير هذا القسم وأنا أعتقد أن هذا القرار كان نتيجة تقييم صحيح لما تتضمنه برامج القسم بل طلبته .

وطيلة فترة تدريسي في كلية الآداب كنت ألاحظ أنه وأنا ألتحق بقسمي يتابعني بالنظر لأن ذاكرته احتفظت ما من شك في ذلك بفكرة عن هذه الخصومة ولقد أكد هذا الأمر زميلي الرصين المنصف الجزار بعد زمن طويل.

محمد رشاد الحمزاوي وليد تالة من ولاية القصرين ولد سنة 1934 وتعثرت دراسته لأسباب لا تهمي في شيئ ولم يحصل على الاجازة وفي فرنسا الا أي في سن ال 24 مما يعني الكثير عندي لأنني رغم ما تعرضت له من صعوبات مادية واجتماعية حصلت على الأستاذية في سن مماثلة.

أما محمد رشاد الحمزاوي فلم يلاق أية صعوبة في هذا المجال كان ينتمي الى عائلة قصرينية "متدينة" نشط عدد من أفرادها في مجال توثيق العقود الشرعية وهذا النشاط مكنها من مكانة

اجتماعية يصعب تصور تأثيرها في الوسط القصريني آنذاك.

لا يهمني أن أتعرض لحياته في فرنسا أو هولاندا لأنه لا أحد من الناس يمكن أن يقترب منها ولو قليلا وأنا عندما أتحدث عنه فأنا استند على ما رأيت وسمعت سنة 1969.

لقد رأيته وهو في سن ال 35 لا يتمكن من تكوين جملة عربية طويلة سليمة حتى لا أتحدث عن نطق الحروف العربية وعندما تغيب لبعض دقائق أثناء القاء درس أمام مئات الطلبة الجدد فعمد بعضهم الى بعثرة أوراقه لم يتمكن من مواصلة "درسه" الا بصعوبة كبيرة.

في هذه الفترة كان يعتبر نفسه كاتبا روائيا لأنه كتب " بودودة مات " وكان ميالا الى الاكثار من النكت العشوائية من دون أن يخطر ببالة أن النكتة حاملة دلالة على صاحبها لأنه يوجد منها ما يمكنك من النفاذ الى حقائق لا يكذبها الزمن مهما تغير ويوجد منها ما يكرهك في الكاتب وما يكتب ومحمد رشاد الحمزاوي صاحب نكتة من النوع الثاني .

كان عندما "ينكت" يراقب ردود الطلبة الجدد عليها فكنت أنا وطالب أخر حريص على مجالستي اسمه محمد النفزاوي وهو بوسالمي أصبح في ما بعد مسؤولا حزبيا دستوريا معروفا عاجزين عن " التفاعل " مع نكته .

اتجهه مباشرة الي في مؤخرة القسم وقال ما معناه : هل أنت تجلس في مؤخرة القسم لأن نفزاوة تقع في الجنوب ؟
محمد النفزاوي بقي حجرا صامتا مثلما كان وسيبقي أما أنا فقد

رددت عليه سائلا :
هل هذا جزء من بلاغتك في " بودودة مات " ؟

انتفض رشاد الحمزاوي وصرخ في وجهي :
ستنال صفرا في الامتحان !
وطلب من محمد النفزاوي أن يذكره باسمي حتى لا يخلط بيننا عند الاصلاح .

غادرت القاعة وكتبت رسالة الى محمد الطالبي وصفت فيها الحادثة متسائلا : كيف يمكن أن تعين الوزارة مدرسا من هذا الرهط في سلك التعليم الجامعي ؟

لم أره بعد ذلك الا في الحمامات وكان مشرفا على مهرجان أو شيئا من هذا القبيل وعندما وقعت عيناه علي انتفض انتفاضة ذكرتني بانتفاضته السردوكية سنة 1969 .
كيف يمكن انهاء الحديث عن هذا " الأستاذ " ؟

لقد تساءلت في البداية عما كان يربطه بالنفزاوي الرصين ابراهيم بن مراد الذي اشتغل معه في ميدان المعجمية مدة طويلة رغم اختلاف تكوينهما اختلافا تاما ولقد وصلت الى نتيجة أن ابراهيم بن مراد لم يكن يهتم بالمسائل السياسية على عكس صاحبه اذ اقتصرت علاقتهما على ميدان البحث فيها فامتدت تبعا لذلك علاقتهما أما هو فقد كان طموحا سياسيا على الرغم من ضعف تكوينة السياسي وهذا مثال على ذلك أطلب ممن قد يكذبني في هذا المجال أن يكذبنيالآن قبل الغد وفي بقية حياة الرجل :

أرسل الى زميلي نوري عبيد في قسم العربية وهو مؤسس دارنشر محمد علي الحامي في صفاقس رسالة لنشر لا أدري ماذا كتب في ظرفها " الى محمد علي الحامي حفظه الله" محمد علي الحامي مات سنة 1928 .
سأصمت !

مساعد جامعي شبيه بمحمد رشاد الحمزاوي اصطدمت به اصطدامي الحمزاوي هوالمساعد المنجي الشملي لأسباب قريبة مما ذكرت عن الحمزاوي.

المنجي الشملي (1931-2016) ولد في عائلة قصرهلالية متواضعة جدا مما سبب له صعوبات في المدرسة ولهذا السبب لم يتمكن من الدراسة في المدرسة الصادقية فاضطر الى الالتحاق بمدرسة ترشيح معلمين يعرفها التونسيون باسم المعهد العلوي نسبة الى الباي علي باي الثالث وقد أسستها الادارة الفرنسية منذ 1884 لحاجتها الى المعلمين الفرنسيين والتونسيين.
ولو تجرأ أي واحد فذكر شيئا عن تكوينه في هذه الاعدادية لقصفه بالصواعق .

هو هنا يناقضني أنا تماما لأنني لا أحرص على اخفاء أي شيء في حياتي بل أعتبر أن الصعوبات التي اعترضتني يجب أن تسجل في رصيدي الايجابي لأن قيمة الانسان الحقيقية لا تظهر الا من خلال ما بذل من جهد للخروج من وضع الى وضع أفضل.
المنجي الشملي حصل على التبريز في فرنسا سنة 1959 أي في عمر 28 سنة و في أي اختصاص ؟ في العربية .

ومعروف أن الفرنسيين كانوا في تلك الفترة من أشد الناس صرامة في منح شهادة التبريز لمواطنيهم خاصة أنها شهادة تتحكم في مصير تلاميذ الثانوية كما أنهم يطبقونها في الاختصاصات الطبية والعلمية ولذلك لم يتمكن طالب تونسي أقدره هو محمد اليعلاوي من النجاح في الطب فاختار الدراسة الأدبية التي تضمن مستقبله في تونس.
هؤلاء الفرنسيون المتشددون حتى في ميدان الأدب عندما يتعلق الأمر بالفرنسيين لا يسلكون السلوك نفسه ازاء الشمال الأفريقيين في ميدان "الأدب المقارن " الذي يشجعون على دراسته ويتساهلون في منح الشمال أفريقيين الشهادات فيه لسببين اثنين أولهما أن المختصين فيه سوف يعودون بالضرورة الى بلدانهم الأصلية المستقلة حديثا والتي تحتاج اليهم احتياجا ضروريا ولذلك لا ينشغل الفرنسيون بمستوى الشهادات التي يمنحونها .
وثانيهما أن الأدب المقارن ظهر في فرنسا في القرن 19 لمواكبة التمدد الاستعماري الذي اضافة الى العنف العسكري رافقه مجهود فكري سياسي هدفه النفاذ الى عقلية الشعوب المستعمرة وذهنيتها بما يقود الى السيطرة عليها ثقافيا .
اقرؤوا كتاب بول هازار Paul Hazard La crise de la conscience européenne 1680 -1715
و ستفهمون جيدا ما أقصد.

هذا الكتاب يتضمن كل المشكلة التي نعيشها نحن اليوم بعد قرون من طرحها في فرنسا وبقية البلدان الأوروبية الكاثوليكية وهي تتناول عملية الانتقال من نظام يقوم على السلطة والايمان بالعقيدة والوفاء للكنيسة والملك الى نظام يقول بالعقل والشك والحرية الفردية ورفض المؤسسات

والكنيسة والحقائق التقليدية .

بول هازار كان مؤرخا عارفا بالأدب فمجاله لم ينحصر في فرنسا وحدها بل تعداه الى كل الفضاء الكاثوليكي الغربي وهذا هو معنى كلمة " مقارن" والأديب المقارن عليه أن يكثر من الاختصاصات حتى يقترب من نظرة شاملة الى المسألة.

لو أن التونسيين العائدين من فرنسا ممن يصفون اختصاصهم ب "الأدب المقارن " مثل المنجي الشملي فهموا المعنى الصحيح منه لحلت المسألة ولكن الشملي اكتفى بادعاء أن اختصاصه هو الأدب المقارن وصدقه في ادعائه مريدوه اما عن جهل أو زبونية .

لو كان الشملي قادرا فكريا لاختار موضوعا لتدريسه الأدب الشمال الأفريقي المكتوب بالعربية على سبيل المثال مثلما فعل بول هازار عندما تجاوز بلده فرنسا الى كل المجال الأوربي الغربي .

موضوع مثل هذا كان يمكن أن يكون نافعا وأساسا لدراسات تطوره بغض النظر عن سعة أفقها لأنه يتجاوز المحلية التونسية التي غرق فيها. والمحلية إن كانت تصلح في الميدان السياسي فهي عشواء في ميدان الأدب وخاصة منه الأدب المقارن . ولنتذكر أن هذا الأدب ذو منشأ فرنسي وكان وجها من وجه التغلغل السياسي الثقافي.

الأدب المقارن يوصي بدراسة أكثر من بلد اخلاصا لتسميته (المقارن) من دون أن ينفي التركيز على بلد واحد لأنه قد

يوجد في البلد الواحد آداب متعددة لأسباب متعددة.

كيف استجاب الشملي لهذا المطلب ؟

عمد الى المغالطة فاقترح تدريس ميخائيل نعيمة في سيرته "سبعون" (3 أجزاء) تجاوزا منه للأدب التونسي وكل واحد من المثقفين المتوسطين يعرف أن لا شيء ذا بال يميز نعيمة عن عدد من الكتاب التونسيين.

جزء من ساعة التدريس يخصصها الشملي للحديث عن ابنه وعندما ضاق أحد الطلبة بهذا الحديث لأنه بذل جهدا للحاق بالدرس علق على حديث الشملي عن ابنه قائلا " لأنه حمار مثلك !"

اقترب المساعد من المكان الذي أجلس فيه وقد سمع العبارة ولم ينبس بكلمة ولكنه لم ينسها طوال حياته . وأنا أؤكد أنني لست من نطق بهذه العبارة لأنني نتيجة تربيتي الأولى لا أستعمل كلمة حمار أو أي كلمة جنسية وعندما يصل غيظي الى أقصى حد أنفس عنه بتمزيق الورقات المالية أو الكتب لأبذل في ما بعد جهدا لالصاق ما مزقت لأنني عاجز عن استعمال يدي لصفع أي كان.
وفي الاجتماعات الحادة أكتفي بمغادرة القاعة حفاظا على أعصابي لأنها ان توهجت تكلفني عدة أيام من الأرق .

نظام التدريس في تونس منقول حرفيا عن النظام التدريس في فرنسا حتى في الأدب المقارن لأن الأستاذ المدرس مطالب بتغيير موضوعه بعد سنتين لأن الطلبة قد يرسبون في السنة

الأولى ومن ناحية ثانية فهذا الاختيار كانت غايته دفع الأساتذة الى التجديد ومواصلة البحث حتى "لا يموتوا بحثيا".

في قسم العربية في الجامعة التونسية عمد كل الأساتذة الى "حيلة" مفيدة على المستوى الشخصي ضارة على المستوى الحضاري : كان الواحد منهم يختار موضوعا للتدريس لأول مرة فيقبل ولكنه يكتفي في ما بعد بمجرد عملية توليد للموضوع الأول بعناوين مختلفة وكأنهم يشبهون هذا الرجل الذي يلد أولادا يسجلهم بأسماء مختلفة وهم من صلبه .

لم هذه الحيلة ؟
القصد منها تمكين المساعدين من عشر أو عشرين سنة من إتمام بحث ينالون به دكتورا الدولة وما أدراك ما هي دكتورا الدولة في البلدان المتخلفة حضاريا : ان إضافة اسم الدكتورا وحده يبعث على الرهبة فمن هو "الجاهل" الذي سيشكك في قيمة هذه الشهادة التي ألغتها فرنسا وهي التي أنشأتها ؟

"سبعون" لميخائيل نعيمة التي بنى عليها منجي الشملي سمعته الأدبية في تونس وتكلف تلامذته الذين يشكون فقرا فكريا سياسيا قريبا من "فقر الدم" تعبر في نواتها الأصلية عن نظرة الى الأشياء أقل ما يقال فيها انها غير واقعية ولذلك فسرت اقبال الطالبات والطلبة عليها باشتراك الجميع في التشجيع على "النفاق" في كل شيء .

كيف ذلك ؟

لا واحدة أو واحدا من هؤلاء الطلبة لم يعرف بشكل أو بآخر

تجربة عاطفية في هذه السن التي قرأ فيها "سبعون".
علاقاتهم الجنسية كانت مبنية على أساس طلب اللذة الطبيعية التي يتحكم فيها هذا ال " filament " الذي يقل حجمه عن حجم الشعرة والذي لايتمكن المكروسكوب من تصويره.
ضغط هذا العنصر الكهربائي العصبي لا يمكن تلافيه لا بالاستمناء أو ب "الصلاة" لأنه ببساطة طبيعي لا يمكن التخلص منه الا بالشيخوخة الحادة أو ...الموت مما ينجر عن ذلك نسف كل ما ورد في "سبعون" لنعيمة الذي يرد استجابته لرغبات النساء الجنسية الى "الشفقة " عليهن .

لو قال الشملي هذا لزوجته لضحكت منه.
لو قال هذا لابنه الذي لا تمر حصة من حصصه من دون امتداحه صغيرا لضحك منه .
لو قلت هذا القول لزوجتي لضحكت مني .
لو قلت هذا لمن عرفت من النساء لقلن " ان رأسك مضروب".
لو قلت هذا لمن قاوم الاستعمار من بسطاء التونسيين لما فهموني لأن الاستعمار أراد أن ينكحهم فرفضوا نكاحه لأنهم فهموا أن استعمارهم لم يكن بسبب حب "صوفي" .
لو قلت هذا للثوار الجزائريين لما فهموا سبب ثورتهم بغض النظر عن مآلها المختلف في تقييم نتائجه وقل ذلك على كل الثورات في العالم ومنها الثورة الفرنسية نفسها .

كل الحضارات الانسانية تقوم على هذا الأساس الابتدائي وبعد ذلك تتدخل الايديولوجيات فتنقسم ، لأنها قوة دافعة ، الى ايديولجيات تقول بفكرة التقدم وأخرى تقول بالسلفية.وأنا عندما كنت مهتما بدراسة حياة النبي محمد لم أتوقف إلا عند صورة

هذا الرجل الواقعية التي تتلخص في حبه : النساء والعطر. وهذا أمر ذو إيحاء كبير بالنسبة الي.

المساعد الشملي أخطر فكريا سياسيا بألف مرة من المساعد رشاد الحمزاوي الذي تفطن التلاميذ ضحالة تكوينه لأنه كان معلما أصبح مدرسا جامعيا يملك قدرة فائقة على تمرير "رسالته" بتذويبها في بحر من الخطابة وبنشاط في مختلف وسائل النشر التونسية مثل الإذاعة والتلفزة والنشر.

لقد قرأت مقالا يؤبنه وصفه وصفا يقربه من المحتجين التونسيين في السنوات الأخيرة بمعنى أنه كان يرفض كل الجوائز التي تسند اليه وكأنه جان-بول سارتر التونسي في حين أنه كان مجرد خادم للنظام طيع الى أقصى الحدود وكل ترقياته كانت مملاة من نظام اجتهد في خدمته لأنه عجز عن الارتقاء العادي بمناقشة أطروحة دولة تمكن من المرور من رتبة أستاذ مساعد الى رتبة أستاذ تعليم عال بغض النظر عن مستوى المترشح لهذه الرتبة .
لقد اختار النظام التعليمي في تونس حل مشكلة هذا العدد الكبير من الأساتذة المساعدين الذين لم يتمكنوا من الترقية الى أستاذ تعليم عال ب"اللجوء" الى مانشروا في مختلف دور النشر ووسائل الإعلام لتمكينهم من الارتقاء .

أستاذ اسمه المسدي رفض هذا الأمر وبقي على رأيه ثم اختار الانصراف الى نشاطاته الفكرية الخاصة ولكن العدد الأكبر من الأساتذة رحبوا بالقرار خاصة في شعبة العربية .

أساتذة التاريخ لم يرفضوا القرار ولكنهم تشددوا في تقييم

المترشحين مما حد من عدد أساتذة التعليم العالي في شعبتهم بشكل أراه مشطا .

لقد تحدثت بشكل مطول عن المساعدين الحمزاوي والشملي على ضحالتهما المشتركة فهل وجد في الجامعة التونسية غيرهم من الأساتذة الأكفاء حقا ؟
نعم وجد أساتذة من صنف راق حقا عرفتهم سنة 1969 أذكر منهم توفيق بكار، هذا الرجل المترفع عن كل ما يمت الى "السفاسف" بصلة وخاصة هذا الرجل الجندوبي الجزائري الأصل "الأصيل" محمد اليعلاوي وخصمه الدشراوي . فقد أتيحت لي فرصة حضور مشادة كلامية في كلية 9 أفريل كان الدشراوي فيها يصف محمد اليعلاوي ب "العلج" لضخامة جسمه ولونه في حين أن الدشراوي كان نحيف الجسم حاد اللسان ولو لم يتمالك اليعلاوي نفسه لقبض على الدشراوي مثلما يقبض صياد على عصفور .

توفيق بكار ذو تربية متميزة وتكوين فكري سياسي ممتاز ونزعته التقدمية أكثر من واضحة فهو حتى عندما يتحدث الى طالبة لا تشعر من خلال كلامهما أنه يميز بين الرجل والمرأة ولقد كان شبيها بالمدرس الغريب في قسم العربية.
هذا المدرس لم أحصل على عدد في الترجمة معه على أكثر من 11 من عشرين إذ كانت الأعداد التي يسندها لا تتجاوز هذا الحد .
محمد اليعلاوي درس الابتدائية في مدرسة في عين دراهم التي بنى فيها منزلا لم أره فيه عندما درّست فيها سنتي 1975-1977.
هو رجل يمقت كل أشكال النفاق حتى في أسلوب الكلام مما

سبب مخاصمة الدشراوي ذي الأسلوب المتكلف المتحذلق الذي كرهني في متابعة دروسه حول الحسبة التي تهمني لاهتمامي بكل ما يتصل بالاقتصاد : ساعات تدريس التعليم العالي في تونس كانت تطابق في ما أذهب إليه ساعات أستاذ التعليم العالي في فرنسا وهي 3 ساعات بالنسبة الى أستاذ تعليم عال في الأسبوع لأنه مكلف بالبحث المتواصل اضافة الى الاشراف على اتمام رسائل الطلبة مما يجعل من ساعة التدريس الواحدة عملا شاقا بكل المقاييس اذ لا ثرثرة ممكنة فيها .

الدشراوي عندنا ، وأنا أقدر أنه كان اذاك حامل رتبة أستاذ مساعد ، لا درس تطبيق معه . يدخل القسم ويتحدث الى الطلبة وكأنه يلقي محاضرة يتكلم ويتكلم ويتكلم من دون أي ورقة في يده ويلجأ الى استطراد قد لا تكون له علاقة بما يدرس .وهكذا تنتهي ساعة الدرس وليس في ذهن الطلبة فكرة واضحة عن الموضوع .
حضرت ساعتين أو ثلاث في درسه ثم قررت أن أنساه هو و"حسبته" في الإسلام.

محمد اليعلاوي على العكس من الدشراوي تماما وكل طلبته يذكرون أنه يسمي الواحد منهم ب "يافلان" وهي صيغة احتفظ بها الى نهاية حياته.
كان أستاذا غادر في فرنسا الطب ليتفرغ لدراسة الأدب فأنتج فيه الشيء الكثير.
كان يرفض كل أنواع الشعر الذي يسمى ب "الشعر الحر" لأنه لا يلائم نظرته الى الأشياء وهي نظرة في نواتها تقليدية أي تلائم تقليدية المجتمع الذي يعيش فيه لأنه بقي مجتمعا

زراعيا أي غير مصنع أي لا علاقة له حقيقية ب"الشعر الح" الذي لم يتجه إليه الشعراء الفرنسيون على سبيل المثال إلا بدافع طبيعي سببه تفرقع المجتمعات الغربية التقليدية بسبب الحرب الكبرى.

وعي الزمن الباطني عند محمد اليعلاوي هو ما مكنه من الإنتاج الكبير في ميدانه وهو سبب سمعته وتقديري له رغم اختلاف نظرتنا الى الأشياء.

كل أعدادي المتفوقة في الترجمة سواء في مستوى الاجازة أو التبريز كان مسندها محمد اليعلاوي لقدرته البالغة فى النفاذ الى روح النص المترجم :
في التبريز حصلت على عدد 15 من عشرين في الترجمة أزال أثره عدد 5 من عشرين في الأدب الذي أسنده إلى جعفر ماجد مدرس "الصحافة في تونس" الذي لم أقدر على متابعة درسين من دروسه.

محمد اليعلاوي كان أستاذا لا أحد يمكنه أن يتدخل في ما يسند من أعداد لرفعة نظرته الأخلاقية .

محمد اليعلاوي تسلم العمادة في كلية 9 أفريل وحاول أن يضبط الطلبة قدر الامكان وكانت الكلية في فترة عمادته تعيش صراعا حادا بين مختلف الاتجاهات السياسية ولقد حاول ذات مرة أن " يعاقب " طالبة شيوعية نظيفة تماما على مستوى العلاقات العاطفية بين الطلبة والطالبات تفكيرها السياسي يختلف عن تفكيره فاستدعاها الى مكتبه وحاول "تأديبها" لنشاطها السياسي الكثيف : حاول أن يقبض عليها وهو

الرجل الضخم وهي الطالبة النحيفة فاستحال عليه ذلك.
هذه الطالبة التي لن أذكر اسمها انتهى مسارها بالحصول على دكتورا دولة في التاريخ وعينها السبسي وزيرة للثقافة لتكوينها الصلب وصفاتها الأخلاقية وأنا لم أرها تذكر محمد اليعلاوي إلا بخير رغم ما يميزها عنه فكريا سياسيا .
هذه هي الأخلاق الرفيعة في اعتقادي .

محمد اليعلاوي وقع في مشادة بينه وأحد المواطنين في احدى الحافلات لأنه رافق أمه المسنة بلباسها العادي فسخر منها أحدهم فكان رد محمد اليعلاوي في الحال.
محمد اليعلاوي كلف زمنا قصيرا بوزارة الثقافة وأنا شخصيا أعرف عددا ممن كانوا مشرفين عليها في الميدان فسارع الى الاستقالة منها لأنه عجز عن الاندغام في محيطها في زمن لن تعرف فيه تونس وزراء كثيرين يجرؤون على تقديم استقالاتهم .
آخر مرة رأيت فيها محمد اليعلاوي كانت منذ أكثر من عقدين وفي عيادة طبيب الأسنان المزغني في ساحة برشلونة في العاصمة.
كنت انتظر دوري في قاعة الاستقبال عندما دخل محمد اليعلاوي .وعندما رآني قال مازحا على طريقته : سبقتني حتى هنا يافلان !
تنازلت له عن دوري طبعا ولم أره بعد ذلك .

هذا الرجل نفذت الى نفسيته بسبب ميلي الى تفضيل الريف على المدينة رغم تخلفه لأنه كان رجلا ريفيا في العمق والعمق هو الذي حببني في محمد بن عبد الكريم الخطابي ودفعني الى تعريب "ادريس . رواية شمال أفريقية" لعلي

الحمامي . ولو كنت على يقين من امكان تلبية رغبتي عندما أموت لأوصيت بدفني في جبل من جبال تونس الشمال غربية التي تكثر فيها الأمطار والرياح فتسويني بالأرض والتراب .

أنا بهذا الكلام أنهي ما سبق من شذرات في حياتي وأنتقل إلى الشذرة الأخيرة التي تتعلق بحياتي في القصرين (ولا أقول كاسرين مثلما كان يسميها رهط من المتعلمين).

شذرة حياتي في القصرين سنتي 1973 -1975

علي بادئ ذي بدء أن ألاحظ أمرين لا يمكن من دونهما تقييم هذه الشذرة :

الأمر الأول هو أن أعمارنا في سنة 1973 تدور حول ال 25 سنة أي أننا أساتذة مبتدئون ما زالت رابطتنا بالمناخ الطالبي قوية في مختلف المستويات بما فيها هذا "الصخب والعنف " والتسيب العاطفي فعلى من يقرأ هذه الشذرة ألا يقرأها بمنطق من جاوز هذه السن وترصن إمّا قليلا أو كثيرا لأن أشد ما يمقته صاحب هذه الشذرات هو "النفاق" أي إظهار علامات التقوى في انسان غير نظيف خاصة في مسألة العلاقات الجنسية التي تمثل "دملا" حقيقيا عند الصغار والكبار على حد سواء في فضائنا.
أقول هذا بديلا عن طرح السؤال التالي :
كيف يمكن لأستاذ في الخامسة والعشرين من عمره عين في ولاية هي الخلاء المجسم في كل شيء أن لا يبحث له عن متنفس في السكر والجنس ؟
ها قد طرحت السؤال وأعود الى السطر .

الأمر الثاني هو أن "قصرين" بداية سبعينات القرن العشرين التي أتحدث عنها في هذه الشذرة تختلف صورتها عن صورتها البارحة القريبة وعن صورتها بداية من ثمانينات القرن وخصوصا منذ تولي الهادي نويرة رئاسة الحكومة وفرض سياسته الاقتصادية الموغلة في الرأسمالية المتوحشة في ردة فعل منه ومن بورقيبة على تجربة التعاضد

البنصالحية مما دفع Le Canard enchainé الى كتابة مقال حرف فيه اسم نويرة فأصبح تقريبا Hédi nuira à la Tunisie ، والتي لم أعد إليها منذ مغادرتها سنة 1975 وتعييني مدرس تعليم ثانوي في في معهد عين دراهم الوحيد في كل المنطقة المحيطة .

"قصرين"ذاك الزمن كانت تعيش عزلة و تهميشا على كل المستويات والمثال الصارخ على ذلك أن السبعة مدرسين الحاصلين على الأستاذية في العربية والفلسفة والتاريخ كنا نحن فقط وهذا عدد من أسمائهم :
في العربية محمد الناصر النفزاوي والهادي الغضباني والحبيب الحدادي و(أحمد ؟) مشارك
في التاريخ محمد الراشدي
في الفلسفة الهادي الجوادي و (؟)بن عايشة .أما ما عدا من ذكرت فكانوا من صنف أقل رتبة.
وما ينطبق على العربية الفلسفة والتاريخ ينطبق على الفرنسية التي كان فيها بادي بن ناصر من درجة أقل .

عامة القصرينيين في تلك الفترة لم تلمسها لا فكرة التقدم ولا السلفية : كانوا "عذارى" فكريا سياسيا بأتم معنى الكلمة، منسجمين مع تقاليد موروثة فلاحية الذهنية لم يتغير منها شيء أما الوعي السياسي فكان مفقودا تماما وكذلك كل مظاهر التفاعل مع ما يجد في البلاد من أحداث. وهم في هذا الأمر شبيهون بكل مواطني المناطق التونسية المحرومة سواء في محيط القصرين أو ما هو أبعد منه مثل نفزاوة في الجنوب أو الشمال الغربي التونسي وذلك الى سنة 1974 بالضبط بمناسبة إعلان بورقيبة والقذافي الوحدة بين تونس وليبيا إذ

خرج المواطنون بقيادة التلاميذ للتظاهر تأييدا لهذه الوحدة.

سلوك أغلبنا في القصرين اختلف تماما عن سلوك عامة الأساتذة في كثير من بقية ولايات الجمهورية لأن من عين من الأساتذة في القصرين تستحيل مقارنته بزميله أو زميلته اللذين عينا للتدريس في معهد قرطاج الرئاسة المحاذي للقصر الرئاسي والذي يسمع كل صباح موسيقى النشيد الوطني .

هذا الواقع هو الذي دفعنا نحن التنسيبين الى القول ان "التعميم هو لغة الحمقى" بمعنى أنك قد ترى واقعا مخصوصا فتعمد الى تعميمه وهذا خطأ.

كان سلوك الغالبية منا ممن هم في سننا وغير متزوجين شبيها بسلوك شباب مسكون بالصخب والتمرد على كل شيء ونحن لم نر عند عامة الناس ضيقا بهذا السلوك الشبيه بسلوكهم على عكس السلطة الأمنية التي كانت تترصد من ترى أنه من المتمردين منا مثل النقابيين فتزج به في "سجن" متداع قبل أن تعرضه على القاضي المرحوم صميدة فيطلق سراحه بعد نقاش سياسي حول ما يحدث في البلاد.

لم يكن كل الأساتذة في مجموعتنا موحدي التوجه والسلوك فأستاذ الفلسفة الهادي الجوادي كان لا يسكر أو يدخن : كان شاغله الأول والأخير هوالجنس وهو في هذا الميدان "مبرز".

صاحبنا أستاذ العربية الهادي الغضباني النقابي المعروف وطنيا كان مثالا للصاخب العنيف يسكر ويضج ويمكن أن يكسر ما بين يديه فهو شابهني إلا في حالة التكسير.

زميلنا بادي بن ناصر هو فنان الجماعة متقن للطبخ على الطريقة الفرنسية لا يربط أي علاقة جنسية في هذا الوسط ولكنه يستقبل أحيانا شابات فرنسيات تلائمن ذوقه وهو في هذا الأمر نقيضي تماما .

عندما تضيق بي الحال جنسيا ألجأ الى ماخور بعيد شيئا ما عن عاصمة الولاية فأقضي ليلة كاملة مع من أختار في هدوء ودعة .

القصرينيون مثلما عرفتهم آنذاك لم تكن تشغلهم المسائل الجنسية والدينية مثلما هو الأمر في المناطق التي خرجت "مؤدبين" مثل منطقة نفزاوة وحتى في العاصمة تونس :
لا أحد منهم يهتم بمن يشرب مسكرا حتى في الأعياد الدينية شأنه في ذلك شأن كل التونسيين قبل بداية "نهضة" التيار الديني بمساعدة محمد الصياح أولا ومحمد مزالي ثانيا اللذين اجتهدا في قطع الطريق على اليساريين التونسيين. ولقد رأيت بأم عيني قبلهما حانات يستهلك فيها التونسيون البيرة والباستيس منذ الصباح في شهر رمضان ولكنني عندما ذكرت هذا الأمر أمام بعض الناس كذبني تكذيبا قاطعا فهل أكذب نفسي لأرضي هؤلاء الجهلة بتاريخ البلاد الحقيقي ؟

سنة 1975 أقرت نقابة التعليم الثانوي أول إضراب في الوظيفة العمومية في تونس فنفذناه نحن السبعة في ما يخصنا في ولاية القصرين وتسلمنا بعده توبيخا من الحبيب عاشور ونقل عقاب من وزير التربية ادريس قيقة الى ولايات مختلفة في الجمهورية. ولقد كان نصيبي نقلة عقاب الى عين دراهم

أي الى معتمدية أكثر تهميشا من المنطقة التي كنت أدرس فيها.